ولئن كان نافعا لبريطانيا فى السابق دعم وحدة الامبراطورية العثمانية المتداعية والحفاظ على التأثير البريطانى فى الاستانة مع تقوية النفوذ البريطانى فى الولايات العربية فى الوقت ذاته ففى مطلع القرن العشرين تغيرت سياسة بريطانيا ازاء الامبراطورية العثمانية . والسبب فى ذلك هو ان خطر الامبريالية الالمانية الساعية الى الاستيلاء على الولايات العربية العثمانية قد ازداد كثيرا مع بداية اشتداد الصراع من اجل اعادة اقتسام العالم . وبنتيجة ذلك راهنت الاوساط الحاكمة البريطانية على تقطيع اوصال الامبراطورية العثمانية والاستيلاء على الاراضى العربية التابعة لها .

واستفاد المستعمرون البريطانيون من صعوبات الوضع الدولى بالنسبة للامبراطورية العثمانية فحَنِثُوا بالتزاماتهم فيما يخص مراعاة الوضع القائم فى جنوب شبه الجزيرة العربية وفرضوا على شيوخ اكبر القبائل فى جنوب اليمن معاهدات الحماية . وحتى عام ١٨٩٦ بلغ عدد القبائل التى فرضت عليها الحماية البريطانية سبع عشرة قبيلة * . كانت معاهدات الحماية تختلف فيما بينها من حيث الصياغة ، الا انها جميعا تعبر عن نفس الجوهر الاستعمارى . فقد الزمت الحكام العرب بعدم الدخول فى اية علاقات مع الدول الاخرى دون سماح من السلطات البريطانية وبعدم تسليم اى جزء من اراضيهم باى شكل كان الى الاجانب ، وباطلاع السلطات فى عدن ، فضلا عن ذلك ، على اية اعمال تقوم بها دول اجنبية فى اراضيهم . ووافقت بريطانيا بدورها على ان تدفع لهؤلاء الحكام معونة مالية سنوية و«تحمى» ممتلكاتهم دون العدوان الخارجى ** .

وحتى مطلع القرن العشرين «. . . عندما كانت تسعة اعشار افريقيا محتلة (حتى عام ١٩٠٠) وعندما غدا العالم موزعا حل من كل بد عصر احتكار ملكية المستعمرات ، وبالتالى عصر الصراع

* Bullard R. The Middle East. A Political and Economic Survey. London — New York, 1958, p. 105.

** Aitchison C. U. A Collection of Treaties ..., vol. 13, pp. 93—113, 169.

الشديد للغاية من اجل اقتسام العالم واعادة اقتسامه» * ومع انتهاء التقسيم الاقليمى وتضاؤل «الاراضى الحرة» باطراد باتت الممتلكات الاستعمارية لمختلف الدول تتلاقى فيما بينها وتتجاور واخذت تتعقد باطراد مهمات رسم الحدود الفاصلة بينها والتمييز بين مناطق نفوذ الدول الكبرى .

وبحلول عصر الامبريالية واجهت مشكلة التمييز ورسم الحدود كذلك بريطانيا والامبراطورية العثمانية اللتين التقت ممتلكاتهما وتشابكت فى جنوب شبه الجزيرة العربية .

وفى المرحلة الثالثة (١٩٠١-١٩١٤) من الصراع الانكلوعثمانى فى سبيل السيطرة على جنوب الجزيرة ارغم المستعمرون البريطانيون الباب العالى على الاعتراف بان امارات جنوب اليمن المحمية ليست جزءا من ولاية اليمن وجعلوه يوافق على رسم الحدود بين عدن واليمن ، مما ادى الى تقسيم اليمن الى شطرين جنوبى (بريطانى) وشمالى (عثمانى) .

ان امكانية استخدام النسخ المصورة من الوثائق والمواد الدبلوماسية البريطانية وغيرها بعد الحصول عليها من الارشيف الوطنى الهندى قد وفرت لنا فرصة القيام بمحاولة للتحليل العلمى لسياسة بريطانيا الاستعمارية فى اليمن ومخططاتها لتقسيمه وعزله عن ساحل البحر الاحمر وجعله فى حالة تبعية .

ومن المسائل الحساسة والملحة فى هذا البحث ما يتعلق بتقسيم اليمن بين بريطانيا والاستانة ورسم الحدود بين اليمن وعدن ، وهى نفس الحدود التى تفصل حتى الآن ، مع تغيير طفيف ، بين الجمهورية العربية اليمنية وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية . ولما كان الكثير من الوقائع التى تحدد العلاقات بين الجمهوريتين اليمنيتين تعود اصوله الى بداية القرن العشرين حيث جرى تقسيم اليمن فان دراسة مسألة رسم الحدود اليمنية العدنية وفقا للمواد السرية للجنة الحدودية الانكلوعثمانية تتسم بأهمية كبيرة لا جدال فيها .

وتتابع هذه الدراسة عملية نشوء اليمن الشمالى المستقل

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٧ ، ص ٣٨١ «الامبريالية اعلى مراحل الرأسمالية» .

(الجمهورية العربية اليمنية حاليا) ، بما فى ذلك نضال الشعب اليمنى ضد السيطرة العثمانية وفى سبيل توحيد اراضى اليمن التاريخية .

ويبدى المؤلف اهتماما خاصا بدراسة السياسة الاستعمارية للامبريالية البريطانية وتكتيكها واستراتيجيتها فى جنوب الجزيرة العربية ومحاولاتها لاستثارة تمردات القبائل ذات الميول الانفصالية ضد ملك اليمن الامام يحيى وعزل اليمن الى الابد عن مناطقه الجنوبية والحيلولة دون قيام العلاقات بين اليمن والاتحاد السوفييتى وتدبير النزاعات الحربية بين اليمن والعربية السعودية بغية تقوية السيطرة البريطانية على كلا البلدين .

ومن المهمات النابعة منطقيا من طابع قضايا موضوع البحث القاء الضوء على الجوانب غير المعروفة كثيرا حتى الآن من التنافس الانكلوايطالى فى اليمن وتحليل طابع هذا التنافس والاشكال التى اتخذها تبعا للتطور الداخلى فى كلتا الدولتين الامبرياليتين وللوضع الدولى عموما .

ونظرا لان اليمن كان اول بلد عربى يوقع مع الاتحاد السوفييتى معاهدة صداقة متكافئة ارتأى المؤلف ان يهتم خصيصا بهذا الحدث التاريخى ويبين تأثير قيام العلاقات السوفييتية الحجازية والسوفييتية اليمنية على سياسة بريطانيا الاستعمارية فى شبه الجزيرة العربية ويكشف عن الطرائق والاساليب التى استعان بها المستعمرون البريطانيون لاعاقة التقارب بين الشعوب العربية واول دولة اشتراكية فى العالم .

تقسيم اليمن بين الانجليز والعثمانيين والمواقع البريطانية في جنوب الجزيرة العربية فى مطلع القرن العشرين

١ . رسم الحدود بين اليمن وعدن من قبل الانجليز والعثمانيين

كان رسم الحدود بين ولاية اليمن ومحمية عدن حصيلة متميزة للصراع بين بريطانيا والامبراطورية العثمانية من اجل السيطرة على جنوب شبه الجزيرة العربية . فالاستانة التى رفضت امدا طويلا الاعتراف «بحق» المستعمرين البريطانيين فى جنوب اليمن اضطرت فى آخر الامر ، فى الوضع الدولى العسير بالنسبة لها فى مطلع القرن العشرين وفى ظل نهوض حركة التحرر الوطنى ضد السيطرة العثمانية فى مقدونيا والبانيا والحجاز وشمال اليمن ، على التنازل لمطامع بريطانيا والموافقة على اقتسام اليمن .

ومما عجل فى تقسيم اليمن الحادثة التى وقعت على الحدود فى اذار (مارس) ١٩٠٠ ، حيث انشأ شيخ قبيلة حُمَيْر اليمانية الشمالية محمد ناصر مقبل برج رقابة قرب قرية الدريجة يشرف على الطريق التجارى الرئيسى بين لحج والمنطقة الجبلية . وكانت الادارة العثمانية هى الدافع للقيام بهذا العمل لاغراض اقتصادية فضلا عن الاهداف السياسية . فان استهلاك التبغ وحده فى شمال اليمن حسب تقديرات الحكومة فى الاستانة ، بلغ ٣,٥ ملايين رطل ، فى حين لم يمر من خلال الجمارك العثمانية سوى ٠,٥ مليون رطل ، اما الباقى فقد جرى تهريبه الى البلاد . وهذا وحده يشكل خسارة فادحة بالنسبة للخزينة العثمانية * .

كان افتتاح نقطة الجمارك فى الدريجة والاشراف على الطريق

* Gavin R. J. Aden under British Rule. . . , p. 413.